المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم شعائر الله وحرماته في ضوء هدايات سورة الحج

اسم الباحث

د/ رشيد الحمداوي

د. رشيد الحمداوي

تعظيم شعائر الله وحرماته

في ضوء هدايات سورة الحجِّ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،،

أمَّا بعدُ؛ فإنّ تعظيم الله تعالى من أعظم أعمال القلوب المقرِّبة إلى علام الغيوب، وما من شك أن مقتضى تعظيمه سبحانه تعظيمُ شعائره التي شرعها وحرماته التي قررها، وقد أفصح الله تعالى في كتابه نصًّا لا إيماءً بفضل تعظيم شعائر الله وحرماته في آيتين متواليتين من سورة واحدة، ألا وهي سورة «الحج»، الأولى قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، والثانية قولُه عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج]. ولا شك أن التنصيص على التعظيم في هاتين الآيتين في هذه السورة خصوصًا له دلالات وإشارات، ولذلك اخترت أن يكون البحث الذي سأقدمه بإذن الله للمؤتمر القرآني العالمي الثاني -الذي تنظمه جامعة إفريقيا العالمية بشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى- في تدبر هاتين الآيتين واستخراج ما تتضمنه من هدايات تخص المحور الثانيَ المتعلق بالجانب التطبيقي لتعظيم الله تعالى، وذلك تحت عنوان: «**تعظيم حرمات الله وشعائره في ضوء الهدايات القرآنية لسورة الحج**».

والهدف المتوخى من البحث هو إبراز أهمية اقتران أداء العبادات بالتعظيم القلبي لله تعالى، وبيان بعض مظاهر تعظيم الله من خلال تلك العبادات.

وقد جعلته في أربعة مباحث:

الأول: سورة الحج وعلاقتها بتعظيم الله تعالى.

الثاني: بيان معاني تعظيم حرمات الله وشعائره.

الثالث: مظاهر تعظيم حرمات الله وشعائره من خلال سورة الحج.

الرابع: فضل تعظيم حرمات الله وشعائره من خلال سورة الحج.

وقد اعتمدت في هذا البحث المنهجين الاستقرائي والاستنباطي. واللهَ تعالى أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، والحمد لله رب العالمين،،

المبحث الأول: سورة الحج وعلاقتها بتعظيم الله تعالى

المطلب الأول: مقصد سورة الحج وصلته بتعظيم الله تعالى

ذكر البقاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أن مقصود هذه السورة: هو «الحثُّ على التقوى المعليةِ عن درَكَة الاستحقاق للحكْم بالعدل، إلى درجة استئهال الإنعام بالفضل، في يوم الجمع للفصل»[(١)].

وقد رأى الشيخ سعيد حوّى أن هذه السورة «تهيج على التقوى وتبعث عليها»، كما «تدل على منعرجات الطريق ومزالقه، وعلى الصوارف وأمثال ذلك»[(٢)].

ويؤيد كون مقصدها هو الدعوة إلى التقوى أن هذه السورة هي السورة الوحيدة في النصف الثاني من القرآن والتي تبتدئ بدعوة الناس جميعا إلى تقوى ربهم، فهي تبتدئ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾[الحج:].

ولذلك يمكن إجمال مقصد السورة في: **دعوة العباد إلى تقوى الله تعالى ظاهرا وباطنا**.

أما إن أردنا أن نعرب عن مقصد السورة بما يجمع أنحاءها ويشير إلى مضامينها الرئيسة، فيمكن أن نقول: مقصد سورة الحج هو: **دعوة الناس إلى توحيد الله وتقواه والتوجه إليه بالقلب خشيةً وتعظيمًا، والتقربِ إليه بالحجّ وسائر العبادات استعدادًا ليوم القيامة**.

ومدار ذلك كله على الدعوة إلى التقوى، فتوحيد الله رأس التقوى، وخشية الله وتعظيمه بواعث تبعث المؤمن على التقوى، والإخلاص من تقوى الله بالباطن، والتقرب إلى الله بالعبادات من تقوى الله بالظاهر، والنجاة من العذاب يوم القيامة ثمرة التقوى، وتذكُّر اليوم الآخر يحمل المؤمن على التقوى.

المطلب الثاني: حضور موضوع التعظيم في سورة الحج

حينما نتأمل في سورة الحج نجد موضوع التعظيم حاضرا فيها، فهي تؤكد على تعظيم أمرين:

الأول: **تعظيم الله تعالى وإجلاله**: فبعض الآيات تصور عظمة الله وجليل قدرته فيما يحدثه من آيات يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾[الحج].

---

(١) نظم الدّرر (١٣/ ١)، ومصاعد النّظر (٢/ ٢٩٤).

(٢)

وتشير إلى دلائل قدرته في الخلق وإحياء الأرض اليابسة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج:]، ثم يتبعها الله تعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج].

ثم يقول مثل ذلك في الربع الأخير من السورة حيث يشير إلى آية تعاقب الليل والنهار: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج].

ثم يشير تعالى إلى إحيائه الأرض وانفراده بالملك وتصرفه في الكون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج].

ويشير سبحانه إلى سعة علمه وإحاطته بكل شيء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج].

ونجد آية تصور تعظيم المخلوقات لله وسجودها له سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج].

وفي آية أخرى نجد أثر تعظيم الله تعالى على قلوب المؤمنين، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج].

وفي آية أخرى إشارة إلى أن من مقاصد تسخير الإنعام تكبير الله وإظهار تعظيمه: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج].

وفي ختام السورة نجد الإنكار على المشركين الذين لم يعظموا الله ولم يقدروه حق قدره حيث قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج].

ولعل ما تقدم هو الذي حمل مؤلفي المختصر في تفسير القرآن الكريم على أن ذكروا في مقدمة تفسير سورة الحج أن مِنْ مقاصدها: «ذكر التعظيم والاستسلام لله من خلال عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية»(١).

الثاني: تعظيم شعائر الله وحرماته وأركان دينه العظام، كالصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، ونحوها.

وقد تكررت الآيات في هذه السورة العظيمة على وجوب تعظيم شعائر الحج:

- ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠].
- ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج].

كما أشار إلى وجوب تعظيم المسجد الحرام من خلال ذمِّ الذين يصدون عنه حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾. بل إن الله تعالى توعد من يهم فيه بالمعصية فقال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[الحج].

وبيَّن تعالى أن هذا البيت بيته، وهو الذي اختار موضعه، وعين لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكانه ليرفع قواعده: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[الحج]. ومن هنا اكتسب هذه الحرمة العظيمة.

المطلب الثالث: خصيصة سورة الحج وعلاقتها بتعظيم الله تعالى

اختصت سورة الحج دون غيرها من سور القرآن الكريم بأنها السورة الوحيدة التي جمعت بين سجدتين من سجدات التلاوة، سجدةً في أولها، عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج]، وسجدةً في آخرها، عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟

(١) (ص ٣٣٢).

﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج]، فقد روي عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «نعم، فمن لم يسجدْهما فلا يقرأهما»(١). وفي إسناده مقال، ولكنه معتضد بأحاديث أخرى وبآثار الصحابة !، فقد ثبت عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه صلى بالناس صلاة الصبح، فقرأ سورة الحج، فسجد فيها سجدتين، ثم قال: «إنّ هذه السورة فضّلت على السور بسجدتين»(٢)، وصح نحوه عن ابن عمر(٣)، ابن عباس(٤). وبغض النظر عن خلاف الفقهاء في الآية الثانية، فإن سجود التلاوة شرعه الله عبوديةً عند تلاوة هذه الآيات واستماعها، وقُربةً إليه، وخضوعًا لعظمته، وتذلُّلا بين يديه(٥).

وصلة الآيتين بتعظيم الله واضحة، فآية السجدة الأولى تصور تعظيم المخلوقات كلها لله تعالى وسجودها له ما عدا بعض بني آدم، وفي الآية الثانية يأمر الله تعالى المؤمنين به بالركوع والسجود له، وهي صورة من الصور الظاهرية للتعظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وقال: «هذا حديث ليس إسناده بالقوي». وتعقّبه ابن كثير في (تفسيره ٣/ ٢١١)، فقال: «وفي هذا نظر، فإن ابن لهيعة قد صرَّح فيه بالسماع، وأكثر ما نقموا عليه تدليسه». والحاكم (٨٠٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١١)، وإسناده صحيح، وأبو عبيد في (فضائل القرآن: ٢٤٨)، وأورد الإمام مالك أثرين عن عمر وابنه أنّهما سجدا سجدتين في الحج. يُنظر الموطأ (١/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٤١)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٤٢)، وابن أبي شيبة (٢/ ١١) من طريق أبي العالية، وأخرجه أبو عبيد في فضائله (٢٤٨).

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٩٥).

المبحث الثاني: بيان معاني تعظيم حرمات الله وشعائره:

١- التعظيم في اللغة:

التعظيم: مصدر الفعل المضعف: عظّم. وهو مشتق من العِظَم، والعِظَم: ضد الصغر، وهو يقع في الأصل على الأجرام وما تتجسم عنه[١].

والعين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة. فالعِظَم: مصدر الشيء العظيم. تقول: عظُم يعظُم عِظَما، وعظَّمتُه أنا. فإذا عظُم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته[٢]. وعظمه يعظمه تعظيما، أي: كبّره... وعظم الشيء: أعظمه وأكبره[٣]. وعظَّمه، أي: بجَّله[٤]. وأعظم الأمرَ وعَظَّمه، أي فخَّمه. والتَعْظيمُ: التبجيلُ[٥]. وعظمه: أكبره وأجله[٦]. وفسر التوقير بالإجلال والتعظيم[٧].

وقد قال النبي ﷺ: «أمّا الرّكوع فعظِّموا فيه الرَّبّ» [٨]، أي مجِّدوه وسبِّحوه ونزِّهوه عن النقائص، بقولكم: سبحان ربي العظيم[٩]. وعظمة الله لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشيء. ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه بلا كيفية ولا تحديد[١٠].

٢- الحرمات في اللغة والاستعمال القرآني:

أ- الحرمات في اللغة:

الحُرُمات بضمتين: جمع حُرُمة- بضمتين-: وهي ما يجب احترامه ولا يحل هتكه[١١].

---

(١) المخصص (٤/ ٤٣).
(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥).
(٣) العين (٢/ ٩١).
(٤) معجم ديوان الأدب (٢/ ٣٧٦).
(٥) الصحاح (٥/ ١٩٨٨).
(٦) المخصص (٤/ ٤٣).
(٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١١/ ٧٢٦١).
(٨) أخرجه مسلم (٤٧٩).
(٩) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٧)، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣/ ٥٣).
(١٠) تهذيب اللغة (٢/ ١٨٢).
(١١) الكشاف (٣/ ١٥٤)، وروح المعاني (٩/ ١٤١)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٣)، والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢).

قال الليث: «الحرمة ما لا يحل انتهاكه، وتقول: فلان له حُرمة، أي تحرم منا لصحبة أو حق»[١]. وقال الزجاج: «الحرمة: ما وجب القيام به وحرم تركه والتفريط فيه»[٢].

والاحترام: اعتبار الشيء ذا حرَم، كناية عن عدم الدخول فيه، أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه[٣].

ب- الحرمات في آية سورة الحج:

وردت «حرمات الله» في هذه الآية وحدها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، أما المراد بها فقد اختلف المفسرون على عدة أقوال، أذكرها مرتبا إياها من الأخص إلى الأعم:

القول الأول: محظورات الإحرام ومناهي الحج: وهو أحد القولين اللذيْن حكاهما الماوَرْدي في معنى تعظيم الحرمات، أحدهما «أنه اجتناب ما نهى عنه في إحرامه»[٤]. ونسب إلى ابن عباس أنه قال: «هي جميع المناهي في الحج: فسوق وجدال وجماع وصيد»[٥]. وهذا هو اختيار الطبري والجصاص[٦].

وهذا القول يستند إلى أن الآية وقعت في سياق الحديث عن أحكام الحج، وهذه المحظورات هي التي لا يحل انتهاكها. وتعظيمها يكون باجتنابها وعدم الاقتراب منها.

القول الثاني: الأمكنة والأزمنة المحترمة: وقد خص عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحرمات بما يقع عليه اسم الحرام، فقال: «الحُرُمات: المشعر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، هؤلاء الحرمات»[٧]. وزاد السجستاني والواحدي: «والشهر الحرام»[٨].

---

(١) العين (٣/ ٢٢٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٤٤؛ حرم).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٤)، ونحوه عند الهروي في الغريبين (٢/ ٤٢٨).
(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢).
(٤) النكت والعيون (٤/ ٢١).
(٥) البحر المحيط (٧/ ٥٠٤).
(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٦).
(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٤).
(٨) غريب القرآن للسجستاني (ص: ٢٠٠)، والبسيط وفي الكشاف (٣/ ١٥٤) ومن نقل عنه: «والمحرم حتى يحل».

ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾[البقرة: ١٩٤]. وأراد جل شأنه بالحرمات في هذه الآية: الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحرمة الإحرام[١].

والحق أن تعظيم المواضع المحترمة داخل في تعظيم الحج ومناسكه[٢]، ومن ثم ليست الحرمات محصورة فيها.

القول الثالث: مناسك الحج: اختار كثير من أهل التأويل «في معنى الحرمات هاهنا أنها المناسك، لدلالة ما يتصل بها من الآيات عليه»[٣]. سيما وأنها افتتحت باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾، والمشار إليه هو أفعال الحج المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾[الحج]، بدلالة اتصالها بها[٤]، وهذا ما فسره به الكلبي حين قال: «فعل ما أمر به من المناسك»[٥]. وقال ابن قتيبة: «يعني رمي الجمار، والوقوف بجمع، وأشباه ذلك، وهي شعائر الله»[٦]. وهذه كلها من المناسك. وقال ابن عاشور: «والذي يظهر أن الحرمات يشمل الهدايا والقلائد والمشعر الحرام وغير ذلك من أعمال الحج، كالغسل في مواقعه، والحلق ومواقيته ومناسكه»[٧].

القول الرابع: جميع محارم الله ومعاصيه: فقد قال عطاء وعكرمة: هي المعاصي[٨]. وعُبِّر عنه بأنه ما لا يحل هتكه من أحكام الشريعة[٩]، وعلى هذا فالحرمات هي: ما نهي عنها، ومنع من الوقوع فيها وانتهاكها[١٠]، وهذا مبني على الدلالة اللغوية للحرمة، فتجوز به هنا عن المخالفة والعصيان، كأنه إزالة لستر الشريعة[١١].

---

(١) ينظر تفسير الطبري (٣/ ٣٠٩).
(٢) ينظر التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٧)، وأحكام القرآن لابن الفرس (٣/ ٣٠٥)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٤).
(٣) التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٨).
(٤) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٦٩)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٤).
(٥) النكت والعيون (٤/ ٢١).
(٦) غريب القرآن (ص: ٢٩٢).
(٧) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢).
(٨) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٤٤) عنه، وعزاه لعبد بن حميد.
(٩) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٣٩).
(١٠) التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٧). وهو ما ذهب إليه الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٥٣٤).
(١١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٢٩٣).

وفسر مجاهد الحرمات بما يشمل هذا المعنى والمعاني السابقة فقال: «الحرمة: مكة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه»[١]. «وقد جمع في هذا القول المأمورَ به والمنهي عنه، فالمأمور به من مناسك الحج حرم التفريط فيه، والمنهي عنه من المعاصي حرم ملابستها، فهي كلها حرمات»[٢].

وتعظيم الحرمات بهذا المعنى: ترك ملابستها[٣].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع[٤]، ألا وإني آخذٌ بحُجَزكم[٥] أن تهافتوا في النار كتهافُت الفراش أو الذباب»[٦].

القول الخامس: كل ما أمر الله به ونهى عنه، «وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد فرائض الله عز وجل وسننه. وهذا القول هو أجمع الأقوال لأنه يجمع المأمور به والمنهي عنه»[٧].

وقال الزجاج: «وكل ما فرض الله فهو من حرمات الله، والحرمة ما وجب القيام به وحرم تركه والتفريط فيه»[٨]. أي: أن جميع التكاليف الشرعية لا يحل انتهاكها[٩]. وقال ابن العربي: «الحرمات: امتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، فإن لهذا حرمةَ المبادرة إلى الامتثال، ولذلك حرمة الانكفاف والانزجار»[١٠].

وإلى هذا القول مال ابن عاشور، فقد ذهب الى أن الحرمات يشمل كل ما أوصى الله بتعظيم أمره، فتشمل مناسك الحج كلها[١١].

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٨٠)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٣٤).
(٢) التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٧).
(٣) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٦٩)، وتفسير البغوي (٥/ ٣٨٣).
(٤) أي سيرتكبها بعضكم.
(٥) الحجز جمع حجزة، وأصلها موضع شد الإزار. ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة، واستعير للتمسك بالشيء والتعلق به.
(٦) أحمد (١/ ٣٩٠) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٥/ ٦٣) رقم (٣٧٠٤).
(٧) التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٧)، وهذا ما قواه القرطبي في تفسيره (١٢/ ٥٤).
(٨) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٤)، ونحوه عند الهروي في الغريبين في القرآن والحديث (٢/ ٤٢٨).
(٩) التفسير الوسيط لمجمع البحوث (٦/ ١٢١٣).
(١٠) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٨٦).
(١١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢).

الترجيح:

مع أن معنى الحرمات -هاهنا- يحتمل الخصوص بما يتعلق بالحجّ[١]، إلا أن القول بالعموم هو الأرجح، لأن ظاهر اللفظ في الآية يعم كل حرمات الله، فتشمل مناسك الحج وغيرها، وإن كان سبب تنزل الآيات خاصًّا[٢].

وهو ما رجحه ابن القيم كذلك فقال: «والصواب: أن الحرمات تعم هذا كله ... وهي ما يجب احترامه، وحفظه من الحقوق، والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها توفيتها حقها، وحفظها من الإضاعة»[٣].

٣- الشعائر في اللغة والاستعمال القرآني:

أ- الشعائر في اللغة:

الشعائر واحدُها شَعِيرة، وهي من قولهم: شعرتُ به، أي: علمتُه[٤]، فشعائر الله: مُتَعَبَّداته التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا[٥]، وهي كل شيء جُعل علَمًا من أعلام طاعته[٦]. وفسره الزجاج بأنها «المعالم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها»[٧]، وتشمل كلّ ما كان من مَشعر، أو موقف، أو مسعًى، أو منحر، وهي كلّها معلومات[٨].

ومنه شعائر الحرب، وهو العلامة التي يتبين بها إحدى الفئتين من الأخرى[٩].

ويحتمل أن تكون الشعائر مشتقة من الإشعار، فشعيرة «فعيلة بمعنى مُفْعَلَة، والمُشْعَرة: المُعْلَمة، والإشعار: الإعلام من طريق الإحساس، والشعر: العلم من طريق الحس...وكل

---

(١) الكشاف (٣/ ١٥٤)، والبحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٠٤).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٣٤).
(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٧٣).
(٤) معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٣٣)، والغريبين (٣/ ١٠٠٧، ١٠٠٨).
(٥) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٤٢)، والتفسير البسيط (٣/ ٤٣٥).
(٦) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٢)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ١٩٠).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤٢٦).
(٨) التفسير البسيط (٣/ ٤٣٥).
(٩) تفسير الرازي (٤/ ١٣٥).

شيء أُعلِم فقد أشعر. ومنه السنّة في إشعار الهدي، هذا معنى الشعائر في اللغة، ثم كل شيء جُعل علمًا على شيء، أو أعلم بعلامة جاز أن يُسمّى شعيرة»[١].

ولهذا تسمى الهدايا التي تهدى من البُدْن إلى مكة: شعائر؛ لأنها مُشعَرةٌ بالدم، فهي تُطعن بحديدة في سنامها من جانبها الأيمن حتى يخرج الدم، وتُجَلَّل وتُقَلَّدَ علامةً على إهْدَائها[٢]، ومنه قول الكميت:

نُقَتّلهم جيلًا فجيلًا تراهم شعائرَ قُربانٍ بهم يُتَقَرَّبُ[٣]

فتكون شعائر بمعنى مُشعَر بها، لأنها تجعل ليشعر بها الرائي. وكل ما أمر الله به بزيارته أو بفعل يوقع فيه فهو من شعائر الله، أي مما أشعر اللهُ الناسَ وقرره وشهره. وهي معالم الحج: الكعبة، والصفا والمروة، وعرفة، والمشعر الحرام، ونحوها[٤].

ب- الشعائر في آية سورة الحج:

أما تفسير شعائر الله في هذا السياق، فاختلف فيه على ثلاثة أقوال، أذكرها مرتبا إياها من الأخص إلى الأعمّ:

القول الأول: ذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٥] ومجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ[٦] إلى أن المراد بـ «الشعائر» في هذه الآية: البُدْن المشعَرة. وإليه ذهبت طائفة من المفسرين كالزجاج والثعلبي والسمرقندي وغيرهم[٧]، ونسبه الرازي إلى جمهور المفسرين[٨]، وهذا القول أوفق بظاهر الآية التي

---

(١) التفسير البسيط (٧/ ٢٢٢).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٢)، والتفسير البسيط (٣/ ٤٣٦).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٧١٠)، والكشف والبيان (٢/ ٢٥)، والتفسير البسيط (٧/ ٢٢٣).

(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في (تفسيره ٨/ ٢٤٩٢، رقم: ١٣٩٢١). وحكى الواحدي في (البسيط ١٥/ ٣٩٠) أن ابن عباس في رواية عطاء قال: «يريد الهدي إذا أشعر وقلد، ثم نحر حتى يسيل دمه، ثم وقف في موقف عرفة».

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٤٨١)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٤٠).

(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٦)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٩)، والكشف والبيان (٧/ ٢١).

(٨) (٢٣/ ٢٢٤).

تليها[١] حيث قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج]، ولا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى أجل مسمى وهو وقت النحر[٢]، ومحلها حيث يحل نحرها[٣]، وهو الكعبة، كما قال تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[الفتح: ٢٥][٤].

ولكن يبدو أن قصر الشعائر على البُدْن مرجوح؛ لأن الله تعالى نصّ في آية أخرى من هذه السورة على أن البدن بعض الشعائر، لا أنها هي الشعائر، وذلك حيث قال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[الحج: ٣٦].

ومعنى تعظيمها على هذا القول: استعظامُها واستحسانُها واستسمانُها والاهتمام بأمرها والمغالاةُ بها[٥]، كما قال ابن عباس[٦] ومجاهد[٧] وغيرهما.

القول الثاني: أن المراد بالشعائر في هذه الآية مناسك الحج ومشاهده[٨]. وقد روى الطبري عن محمد بن أبي موسى[٩]، قال: «الوقوف بعرفة من شعائر الله، وجمْع من شعائر الله، والبدن من شعائر الله، والحلق من شعائر الله، والرمي من شعائر الله، فمن يعظمها فإنها من تقْوى القلوب»[١٠]. وروي عن ابن زيد، أنه قال: «الشعائر: الجمار، والصفا والمروة من شعائر الله،

---

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ٧١)، وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٦).

(٢) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٦)، والتفسير البسيط (١٥/ ٣٩٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٣).

(٥) الكشف والبيان (٧/ ٢١)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٦)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٦).

(٦) روى الطبري في (تفسيره ١٦/ ٥٤٠) عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال في قوله﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]: «استعظامها، واستحسانها، واستسمانها».

(٧) في تفسير مجاهد (ص: ٤٨١) أنه قال في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج]: «يعني: استعظامَ البدن واستسمانها واستحسانها». ومثله في تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٠).

(٨) ينظر الكشف والبيان (٧/ ٢٢)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٢١)، وزاد المسير (٣/ ٢٣٦).

(٩) تنظر ترجمته في (التاريخ الكبير ١/ ٢٣٦)، وميزان الاعتدال (٦/ ٣٤٩).

(١٠) رواه ابن أبي شيبة (١٤١٥٢، ١٤٧٠٢)، وفيه بدل الرمي «والجمار من شعائر الله»، وبنحوه رواه الطبري في (تفسيره ١٦/ ٥٤١). وعزاه السيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٤٧) كذلك إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والمشعر الحرام والمزدلفة، قال: والشعائر تدخل في الحرم، هي شعائر، وهي حرم»[١]. وتعظيمها إتمام ما يفعل فيها[٢]. وقال ابن عمر: «أعظم الشعائر البيت»[٣]. وقال مالك بعد استدلاله بهذه الآية: «فمن شعائر الله عرفة والمزدلفة»[٤]. وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[المائدة: ٢]، وقد قال ابن عباس: فيها: «مناسك الحج»[٥].

ورجح الماتريدي أن الشعائر هي المناسك؛ لأن الله -تعالى- عد كل منسك من الحج شعائر الله، فقال: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٥٨]، وقال: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[الحج: ٣٦]، فهي من شعائر الله، وهن معالم الله في الحج[٦].

وهو موافق للغة، فالشعائر هي اسم لما «جُعِل شعارا وعلما للنسك، من مواقف الحج ومرامي الجمار، والمطاف، والمسعى، والأفعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الإحرام، والطواف، والسعي، والحلق، والنحر»[٧].

إلا أن الزمخشري رأى أن قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج يأبى هذا القول[٨].

ولكن القائلين بهذا القول قالوا بأن المعنى: محل الناس من إحرامهم[٩]، أي: الحِلّ من هذه أعمال الحج كلها -من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي- ينتهي إلى البيت العتيق، وهو الطوافُ به طوافَ الإفاضة بعد قضاء المناسك[١٠].

وقد روي أن ابن عباس كان يقول: «كل من طاف بالبيت فقد حل، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾»[١١].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٥٤١).
(٢) البحر المحيط (٧/ ٥٠٦).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٣).
(٤) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١٣٤٥).
(٥) تفسير الطبري (٨/ ٢١).
(٦) ينظر تفسير الماتريدي (٣/ ٤٣٨).
(٧) الكشاف (١/ ٦٠١).
(٨) الكشاف (٣/ ١٥٧).
(٩) تفسير الخازن (٣/ ٢٥٧).
(١٠) ينظر تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٩)، والتفسير البسيط (١٥/ ٣٩٦-٣٩٧)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٧). ورأى الثعالبي في (الجواهر الحسان ٤/ ١٢٣) أن في هذا القول بعض تكلف.
(١١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٣). وروى مالك (١/ ٣٦٩) أن عمر قال: «لا يصدرن أحد من الحاج حتى يطوف بالبيت، فإن آخر النسك الطواف بالبيت» ثم قال مالك: «إن ذلك فيما نرى، والله أعلم، لقول الله تبارك

وعن محمد بن أبي موسى: أنه قال في هذه الآية: «محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت»[١].

وتعظيم أعمال الحج: «الوقوف والعمل بها في الأوقات المفروضة والمسنونة»[٢]، وإتمامها[٣]، و«توقيرها، وترك الاستهانة بها»[٤].

وتعظيم مواضع الحج، كعرفات ومنى والمزدلفة: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها[٥].

وقد جمع الطبري بين هذا القول وسابقه فقال: «وتعظيم شعائر الله، وهو استحسان البُدْن واستسمانها، وأداء مناسك الحج على ما أمر الله جل ثناؤه»[٦].

القول الثالث: أن المراد بها: جميع شرائع الدين التي حدها الله لعباده[٧].

وقد روي عن الحسن البصري: «شعائر الله دين الله كله»[٨]. وروي عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن شعائر الله فقال: «حرمات الله: اجتناب سخط الله واتباع طاعته، فذلك من شعائر الله»[٩].

وهو اختيار القرطبي وابن كثير[١٠]، ومن المعاصرين السعدي والشنقيطي والخطيب[١١]. وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢]: «معالم حدود الله وأمره ونهيه وفرائضه»[١٢].

وقد قيل إن معنى شعائر الله هنا: فرائض الله؛ كأنه تعالى قال: لا تستحلوا ترك ما فرض الله عليكم[١٣].

وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج]، وقال: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج: ٣٣]، فمحل الشعائر كلها، وانقضاؤها إلى البيت العتيق».

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٣٣، رقم ١٤٧٠٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٤٨).

(٢) الهداية (٧/ ٤٨٨٥).

(٣) تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٣٦٨).

(٤) التفسير البسيط (١٥/ ٣٩٦).

(٥) تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٣٦٨).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٩).

(٧) النكت والعيون (٤/ ٢٣)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٣٨)، وتفسير البغوي (٥/ ٣٨٤).

(٨) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٧١)، ونسبه كذلك إليه الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢٣).

(٩) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٧٥، رقم ١٤١٥٣)، وتفسير الطبري (٨/ ٢١).

(١٠) تفسير القرطبي (١٢/ ٥٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٢١).

(١١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦ و٥٣٨)، والتفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٣٠)، وأضواء البيان (٥/ ٢٥٧)، والتفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون (٥/ ١٨٦).

(١٢) تفسير الطبري (٨/ ٢١).

(١٣) تفسير الماتريدي (٣/ ٤٣٨).

وهذا القول وجيه لعمومه[١]، ولدخول أعمال الحج ومشاهده وما يهدى من بدن فيه دخولا أوليا[٢]؛ ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾[المائدة: ٢]، أي جميع معالم دين الله وفرائضه[٣].

ومعنى تعظيمِها: التزامُها[٤]، والقيام بها وإجلالها[٥]، ومراعاة آدابها[٦].

وإذا فسرنا قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾[الحج: ٣٣]، أي لكم في التمسك بالشرائع منافع إلى أجل منقطع التكليف، فإن قوله تعالى بعدها: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ [الحج] يشكل على هذا التأويل، «فقيل: الإيمان والتوجه إليه بالصلاة، وكذلك القصد في الحج والعمرة، أي محل ما يختص منها بالإحرام البيت العتيق، وقيل: معنى ذلك ثم أجرها على رب البيت العتيق»[٧]. ولا تخلو من التكلف، بل إن الألوسي قال: «والكل مما لا ينبغي أن يخرج عليه كلام أدنى الناس، فضلا عن كلام رب العالمين»[٨].

الترجيح:

والذي يترجح لي هو القول الثاني لأنه أعمّ من جهة، فالهدايا تدخل في الحج دخولا أوليا[٩]، ويتسق من جهة أخرى مع سباق الآية ولحاقها، وتخصيص الشعائر بالبدن مع عمومها وإلغاء خصوصية ذكر البيت لا وجه له[١٠].

وهذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكرُه أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما جعله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم،

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣٨).
(٢) ينظر تفسير القرطبي (١٢/ ٥٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٢١).
(٣) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٣/ ١٣).
(٤) النكت والعيون (٤/ ٢٣)، والبحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٠٦).
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٣٩).
(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٣٣).
(٧) البحر المحيط (٧/ ٥٠٦).
(٨) روح المعاني (٩/ ١٤٦).
(٩) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٣٥).
(١٠) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٨٨)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٧).

من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم، لم يخصص من ذلك شيئا، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب»[١].

وعلى القول المختار في تفسير شعائر الله، فإن مضمون جملة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢] أخص من مضمون جملة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وذكر الأخص بعد الأعم لمزيد العناية والاهتمام بمناسك الحج ومشاهده[٢]. والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٥٤١).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).

المبحث الثالث: مظاهر التعظيم من خلال سورة الحج

المطلب الأول: مظاهر تعظيم حرمات الله من خلال سورة الحج:

إن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠] دليلٌ على وجوب تعظيم حرمات الله؛ فقد جاء النهي في هذه الجملة عن انتهاك هذه الحرمات بأبلغ أسلوب، حيث عبر عن اجتنابها بالتعظيم[١]، فكأنه أمر بتعظيمها فقال: عظموا حرمات الله واجتنبوا انتهاكها[٢]. ولهذا صح أن يعطف عليه قوله تعالى بصيغة الأمر: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠].

وتدل الآية على أن الباعث على التعظيم هو ملاحظة ربوبية الله لنا وما تستتبعه من تربيته لنا بأنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى، والتي يجب أن نشكره عليها، وقد أومأ أبو السعود إلى هذا المعنى حيث قال: «والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير ﴿مَن﴾ لتشريفه والإشعار بعلة الحكم»[٣].

كما تومئ الآية إلى أن استحضار جلال الله وعظمته باعث على تعظيم حرماته؛ لأنه تعالى ذكر الحرمات مضافة إلى اسم الجلالة دون غيره من الأسماء: ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾[الحج: ٣٠]، حضا على صيانتها وتكريمها ومراعاتها حق رعايتها، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم[٤].

والآية تومئ أنه لا تكون هنالك حرمات إلا لله تعالى، وأنه لا يجوز لأحد أن يجعل لشيء حرمة إلا بإذن الله سبحانه. ويؤخذ هذا من أن المشركين لما كان يحرّمون بعض الأنعام -كالبحيرة والسائبة والوصيلة- فيجعلون لها حرمة مع أنها ليست من حرمات الله، فبين الله تعالى أنه أحل لهم الأنعام إلا ما حرم منها لعارض، إشارة إلى أن الحرمات هي ما جعل الله له حرمة.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٣٠٥).

(٢) التفسير المظهري (٦/ ٣١٨).

(٣) تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٥).

(٤) تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٥).

١ – تعظيم الحرمات بمعنى محظورات الإحرام:

وعلى هذا التفسير فإن تعظيم الحرمات بهذا المعنى هو باجتناب المحرم لتلك المحظورات في حال الإحرام تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحُرَمه أن يستحلها[١].

وتدل الآية على أنه من يحافظ على حرمة ما قد حرمه الله في أوقات الحج ولم يهتك حرمتها فذلك خير له عند ربه من هتكها وجبرها بدم[٢].

وتدل الآية بدلالة اللزوم على وجوب معرفة محظورات الإحرام، لأن اجتنابها يتوقف على معرفتها وتمييزها من المكروهات والمباحات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وتدل الآية على أن تعظيم هذه الحرمات يكون بألا يقرب هذه المحظورات ولا يحوم حولها[٣]، إذ لا ينبغي للحاج أن يحوم حول ما هو محظور، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه كما قال النبي ﷺ[٤].

وتومئ الآية إلى أن جزاء الصيد في الحرم للناسي والمخطئ مثل جزاء الصيد العامد كما ذهب الجمهور؛ لأن الصيد انتهاك للحرمة ولو وقع على سبيل الخطأ أو النسيان، فيكون الجزاء سواءً تغليظا على من انتهك هذا المحظور[٥]. وقد سأل ابن جريج عطاءً فقال: من قتله منكم متعمدا، فمن قتله خطأ كيف يغرّم، وإنما جعل الغرم على من قتله متعمدا؟ قال: «تعظم بذلك حرمات الله، ومضت به السنة»[٦]. والنسيان والخطأ عذر في رفع المأثم، لا في رفع المغرم.

٢ – تعظيم الحرمات بمعنى ما لا يحل انتهاكه كالأماكن المقدسة:

وتعظيم هذه المواضع يكون بحفظ حرمتها[٧]، والقيام بحقوقها[٨].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٣). ونحوه في (الهداية ٧/ ٤٨٨٢).

(٢) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (١/ ٥٥٣).

(٣) ينظر روح المعاني (٩/ ١٤١).

(٤) للحديث ألفاظ متقاربة، منها، أن النبي ﷺ قال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه». أخرجه البخاريُّ (٥٢).

(٥) روى ابن أبي شيبة (١٥٢٨٩) عن سعيد بن جبير قال: «إنما جعل الجزاء في العبد، ولكن غلظ في الخطأ كي يتقوا».

(٦) رواه الشافعي (١٣٢)، وعزاه للسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ١٨٧) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٧) ينظر: تفسير الخازن (٣/ ٢٥٦).

(٨) ينظر: غرائب القرآن (٥/ ٧٩).

وتدل الآية على أن تعظيم مواضع العبادة من مظاهر تعظيم العبادة نفسها؛ لأن هذه المواضع التي ذكرت إنما عُدَّت من حرمات الله لأنه فيها تؤدى مناسك عبادة الحج. ولذلك ذهب ابن زيد وغيره إلى أن تعظيم هذه المواضع يدخل في تعظيم أفعال الحج المشار إليها في هذه الآية[١].

أ- تعظيم البلد الحرام:

بناء على هذا التفسير تدل الآية على وجوب تعظيم مكة؛ لأن الله تعالى حرمها وجعلها مكان بناء بيته المحرم.

وتدل على وجوب رعاية مكة والاهتمام بشأنها على من يتولى أمرها؛ لأن ذلك من تعظيم هذا البلد، وتعظيمه من تعظيم حرمات الله.

وتدل الآية على وجوب اجتناب صغائر الذنوب في مكة فضلا عن كبائرها؛ لأن مكة بلد معظم، وفعل الذنوب فيها ينافي تعظيمها، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة أحب إلي من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة»[٢].

ومن تعظيم البلد الحرام عدم القتل والقتال فيه ولو وجدت عدوك بها، ما دام لم يبدأك بقتال، كما قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾[البقرة].

وقد كانت قريش في الجاهلية لا يقتلون أحدا داخل الحرم، فإن أرادوا قتل أحد أخرجوه خارج الحرم كما فعلوا بخبيب بن عدي رضي الله عنه، والمسلمون أولى بذلك.

وتدل الآية على حرمة انتهاك الحرم بقطع شجره أو صيد صيده أو اختلاء خلاه؛ لأن ذلك مناف لتعظيم البلد الحرام. والأمر بالشيء نهي عن ضده.

وتدل الآية على حرمة الاعتداء على إنسان أو طير أو حيوان في مكة؛ لأن ذلك مناف لتعظيم هذا البلد الأمين.

وتدل الآية على وجوب التزام المواقيت، لأن من حِكَم توقيت هذه المواقيت تعظيمَ البيت الحرام، بحيث يتهيأ الإنسان للدخول إلى البلد الحرام ويستذكر عظمة الله وجلال ما هو قادم عليه.

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٥٤).

(٢) رواه عبد الرزاق (٨٨٧١).

وتدل الآية على وجوب كفِّ كل من يريد فعل شيء ينافي حرمة البلد الحرام، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وتدل الآية على تضعيف الغرم والعقوبة على من ارتكب إثما أو مخالفة في البلد الحرام، لأن الزجر على قدر المخالفة، والمخالفة في مكة انتهاك لحرمات الله تعالى.

ومن تعظيم الحرم الاحتراز من العزم على فعل سيئة داخل الحرم، ويشهد له قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أنَّ رجلًا هَمَّ فيه بإلحادٍ وهو بعَدَن أَبْيَنَ[1] لأذاقه الله -عزَّ وجلَّ- عذابًا أليمًا»[2].

وتدل على وجوب البعد عما ينافي تعظيم هذا البلد ويمس قدسيته، ولذلك كان بعض جلة الصحابة يحترزون من أدنى ما يُخشى أن يكون منافيا للتعظيم[3]، ومن ذلك أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان له فسطاطان: أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الذي في الحل، فقيل له، فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه إن يقول الرجل: كلا والله، وبلي والله»[4]. والظاهر أن هذا من باب الورع، وإلا فإن عتاب الرجل امرأته، أو يمين اللغو، أو نحو ذلك ليس من الإلحاد ولا من الظلم[5].

---

(١) عدن أبين: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن، ويقال لها: «عدن أبين» للتمييز بينها وبين «عدن لاعة» في بلاد حجة باليمن. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٦/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) أخرجه أحمدُ (٦/ ٦٥-٦٦)، وأبو يعلى (٥٣٨٤)، والبزار (٢٠٢٤) بلفظ: «لو أن رجلا بعدن أبين أراده بسوء أذاقه الله من عذاب أليم». وقد قال ابن كثير في (تفسيره ٥/ ٤١١) عن سند الإمام أحمد: «صحيح على شرط البخاري، ووقفه أشبه من رفعه». والحق أنه ليس على شرطه لأنه لم يخرج عن السدي شيئا، وعزاه ابن حجر في (المطالب العالية: ٣٦٦٥) إلى إسحاق بن راهويه بلفظ: «من هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء، وإن هم بعدن أبين أن يقتل في المسجد الحرام أذاقه الله عز وجل من عذاب أليم. ثم قرأ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾[الحج: ٢٥] الآية»، وعلق عليه فقال: «موقوف قوي الإسناد». ورواه الطبري في (تفسيره ١٦/ ٥٠٨) بنحو هذا اللفظ، ورواه من طريق آخر بلفظ: «لو أن رجلا هم فيه بسيئة...». وأخرجه الحاكم (٣٤٦٠) بقريب من لفظ ابن راهويه، وصحَّحه الذهبي على شرط مسلم، وأخرجه بمثل لفظ أحمد (٣٤٦١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وبالجملة فهذا الأثر رواته ثقات، وإسناده حسن في أقلّ أحواله. ينظر كلام أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٤/ ١٣٤)، وكلام محققي المسند طبعة الرسالة (٤٠٧١).

(٣) ينظر التفسير الوسيط لمجمع البحوث (٦/ ١٢٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٥١٠).

(٥) أضواء البيان (٤/ ٢٩٤).

وتدل الآية على أن من ينتهك حرمة البلد الحرام فهو شر له عند ربه[١]. وقد روي عن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لن تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلَكوا»[٢]. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥].

وتشير إلى أنه إذا تعارض أمران، أحدهما فيه تعظيم للبلد الحرام، فهو يقدم على غيره، ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ -لمّا بركت ناقته في الحديبية وقد بلغه عزم المشركين على صده عن البيت- قال: «والله لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها»[٣]، وصالح المشركين صلح الحديبية مع ما فيه من شروط مجحفة، تعظيما للبلد الحرام وتفاديا للقتال فيه.

ب- تعظيم البيت الحرام:

بناءً على هذا التفسير تدل الآية على وجوب تعظيم المسجد الحرام، لأنه من تعظيم حرمات الله تعالى. ومن تعظيم البيت الحرام التأدب معه بما يلزم من أدب[٤].

وتشير إلى أن رمي الأزبال أو ترك النفايات في المسجد الحرام ذنب من الذنوب، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، والنفايات تؤذي المصلين والعاكفين والطائفين، وتنافي تعظيم البيت الحرام.

وتشير الآية إلى وجوب تطهيره من الأرجاس الحسية والمعنوية؛ ويستفاد هذا من سوابق الآية حيث أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذلك فقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[الحج].

---

(١) ينظر نظم الدرر (١٣/ ٤٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٤٧، رقم ١٩٠٧٢)، وابن ماجه في سننه: (كتاب الحج، باب فضل مكة، ح ٣١١٠، ٢/ ١٠٣٨) وقد حسن سندَه الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال البوصيري في مصابيح الزجاجة: (في إسناده يزيد بن أبي زياد، واختلط بأَخَرَةٍ). وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣/ ٢٦٨، رقم ١٤٠٩٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢٠، رقم ٦٨٩).

(٣) رواه البخاري (٢٥٨١).

(٤) ينظر البحر المديد (٣/ ٥٣٠).

ج- تعظيم المشعر الحرام:

ويكون تعظيمه بالوقوف فيه والإفاضة منه كما أمر الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[البقرة].

د- تعظيم الأشهر الحرم:

وقد ذكر بعض المفسرين الشهر الحرام في الحرمات[١]. وتدل الآية -بناء على هذا التفسير- على وجوب احترام الأشهر الحرم، لأنها من حرمات الله تعالى.

ومن تعظيمها تخصيصها بمزيد التعبد لله فيها[٢].

ومن تعظيمها التحرز من المعصية فيها، ويشهد له قول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[التوبة]: «في كلِّهن، ثم خصَّ من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حُرُمًا، وعظّم حُرُماتهن، وجعل الذنبَ فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم»[٣].

ومن تعظيمها احترامها بعدم القتال فيها[٤]، إلا إذا اضطررنا إلى ذلك، على القول بأن تحريم القتال في الأشهر باق غير منسوخ كما هو مذهب المحققين. كما قال الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة: ٢١٧].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٨)، وتفسير البغوي (٥/ ٣٨٣)، والكشاف (٣/ ١٥٤)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٢)، وتفسير البيضاوي (٤/ ٧٠)، والبحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٠٤)، وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٥)، روح البيان (٦/ ٢٩)، والبحر المديد (٣/ ٥٣٠). وكثير منهم ينسبه إلى ابن زيد، ولكن الأثر الذي رواه الطبري لا يتضمن ذلك.

(٢) حاشية الشهاب (٦/ ٢٩٣).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٤٤٤).

(٤) حاشية الشهاب (٦/ ٢٩٣).

ويلحق بتعظيم الأشهر الحرم تعظيم الأزمنة الفاضلة كشهر رمضان وليلة القدر. وقد كان تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتأوَّل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج]، فقد اشترى حُلّة بألف درهم يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر[١].

٣ – تعظيم الحرمات بمعنى أعمال الحج:

حتى مع قولنا بالعموم فإن مناسك الحج تدخل دخولًا أوليًّا[٢]بدلالة السياق.

وعلى هذا التفسير فالقيام بالمناسك تعظيمٌ لحرمات الله[٣].

والآية تفيد وجوب إتمام مناسك الحج والعمرة؛ لأن تعظيمها يكون بإقامتها وإتمامها[٤]، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦].

وتؤذن بأنه ينبغي للحاج أن يبذل غاية جهده في أداء مناسك الحج[٥]؛ لأن ذلك من تعظيم حرمات الله، وقد عبر بفعل عظّم المضعّف، وهو يدل على المبالغة في الإعظام.

وتفيد أنه ينبغي للحاج أن يعطي هذه المناسك حقها من الإعظام والإكبار، فلا ينتهك موانع الإحرام، ولا يؤدي الأركان في غير أوقاتها، ولا يرفث ولا يفسق ولا يجادل، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٧][٦].

وتفيد أنه ينبغي للحاجّ أن يجل عبادة الحج بقلبه، وأن يظهر العبودية لله فيها، ويؤدي المناسك بمحبة لها، من غير تكاسل، أو تثاقل، لأن ذلك من مظاهر تعظيمه للحج[٧].

وتفيد أنه ينبغي للمسلم أن يحذر من التفريط في المأمور به من مناسك الحج أو العمرة؛ لأن القيام بها تعظيم لحرمات الله تعالى[٨]، والتفريط فيها انتهاك لهذه الحرمات.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا التهجد وقيام الليل (٢١٠).
(٢) ينظر البحر المديد (٣/ ٥٣٠).
(٣) ينظر التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٨).
(٤) ينظر تفسير الخازن (٣/ ٢٥٦).
(٥) ينظر نظم الدرر (١٣/ ٤١).
(٦) زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٧٨).
(٧) ينظر تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٧).
(٨) التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٧).

ويدل بدلالة اللزوم على وجوب التفقُّه في أحكام الحج والعمرة وتعلم مناسكهما حتى يتم تأديتها على الوجه الأكْمل.

ويدل على فضل تعليم مناسك الحج والعمرة من خلال الدروس والدروات التدريبية، لأنه دلالة على ما يتم به تعظيم حرمات الله.

ويدل على فضل إرشاد الحجاج والمعتمرين ومصاحبتهم في المناسك لأنه تعاون على تعظيم حرمات الله.

ويدل على استحباب الوسائل المرئية من برامج تلفزية واستعمال للمجسَّمات والمحاكاة؛ فبهذه الوسائل وأمثالها يتيسر للناس على اختلاف أفهامهم ومعارفهم تعلم مناسك الحج وأداؤها بصورة صحيحة.

وتفيد أن «من يعظم حرمات الله، وخرج للحج، وأنفق المال، وأتعب النفس فما له عند ربه من الثواب، فذلك خير له من حفظ ماله وحفظ نفسه»[١].

وتفيد أنه مَنْ يُعَظِّمْ أمر المناسك كلها، فَهُوَ أعظم لأجره. «وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ يدل على الثواب المدخر، لأنه لا يقال عند ربه فيما قد حصل من الخيرات»[٢].

وتفيد أن القيام بمناسك الحج لا ينبغي أن يكون بطريقة صورية، وإنما ينبغي أن يستحضر فيه نية طاعة الله وامتثال أمره.

وتفيد أن الحاج لا بد أن ينطوي قلبه عند أداء مناسك الحج على تعظيم الله تعالى الذي شرع هذه العبادة.

وتفيد أنه يحرم الاستهزاء بمناسك الحج وأعماله، لأن ذلك يخالف تعظيمها كل المخالفة.

وتشير إلى أنه يحرم نشر الصور أو المقاطع المصورة أو رواية الطرائف التي تتضمن استهزاءً بمناسك الحج وأحكامه.

٤ – تعظيم الحرمات بمعنى نواهي الله تعالى:

تفيد الآية أن ترك ما حرمه الله تعالى تعظيم لله تعالى.

---

(١) تفسير الماتريدي (٧/ ٤١٣).

(٢) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٢).

وتفيد على هذا المعنى أنه لا ينبغي للمؤمن التساهل في ارتكاب المعاصي، لأن تركها تعظيمٌ لحرمات الله.

وتفيد أن المعصية وإن صغرت فإن الوقوع فيها عظيم، لأنه عصيان للعلي العظيم، ولذلك قال بعض السلف: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت»[١].

وتفيد أنه يلزم للمؤمن أن يحذر من المعصية ولا ينبغي له أن يستصغرها ويحتقرها. وقد روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يُهْلِكْنَه» وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلًا: «كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادًا، فأججوا نارًا وأنضجوا ما قذفوا فيها»[٢].

وتفيد أن من علامات انطواء قلب المسلم على تعظيم الله أنه يشق عليه الاقتراب من المعصية، ويستعظم وقوعه فيها، لأن ذلك أثر لتعظيمه حرمات الله[٣]، وفي الحديث: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا - أي بيده- فذبَّهُ عنه»[٤].

وتفيد أن ترك المحرمات تعظيما لله تعالى يترتب عليه خير كثير وثواب جزيل، كما يترتب على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير[٥].

وتفيد أن ترك المعاصي إنما يترتب عليه الثواب إذا كان الترك انتهاءً عما نهى الله عنه؛ أما إن تركها بغير قصد الامتثال فلا يثاب عليها؛ ويستشف هذا من أن الله تعالى رتب الخير عند الله على العمل القلبي الذي ينطوي عليه ترك المعاصي وهو تعظيم حرمات الله، فكأنه قال: وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فيجتنب معاصيه فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ[٦].

---

(١) رواه النسائي في (السنن الكبرى: ١١٨٥٤)، وابن المبارك في (الزهد والرقائق (٧١)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٥/ ٢٢٣) عن بلال بن سعد.

(٢) رواه أحمد (٣٨١٨)، وصححه الألباني على شرط الشيخين في (الصحيحة: ٣٨٩).

(٣) ينظر التفسير المظهري (٦/ ٣١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٤٩)، والترمذي (٢٤٩٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٩).

(٦) الكشف والبيان (٧/ ٢٠).

وتفيد بمفهوم المخالفة أن انتهاك حرمات الله شر لمنتهكها عند ربه[١].

وتفيد الآية بالنظر إلى لواحقها أن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات، وترك الشرك واجتناب الأوثان من أعظم المحافظة على حدوده تعالى، ولذلك لما حث الله في هذه الآية على تعظيم حرماته وبين ما له من ثواب عظيم أتبعه الأمر بما هو أعظم أنواعها وأقدم أصنافها وهو اجتناب الأوثان وقول الزور، فقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠][٢]. كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك[٣]. والمعنى: إذا كان تعظيم حرمات الله فيه الخير ورضا الله تعالى، وكان من تعظيمها اجتناب ما نهى الله عنه، فاجتنبوا الأوثان، ولا تعظموها، ولا تذبحوا لها كما كان يفعل أهل الجاهلية[٤].

وتفيد الآية بالنظر إلى ما جاء بعدها وهو قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[الحج: ٣٠]. أن ما حرّم الله أكله من البهائم من حرمات الله التي يجب تعظيمها، وتوقي الاستخفاف بها والدنوُّ منها[٥].

وتفيد أن الغضب لانتهاك محارم الله محمود؛ لأن المؤمن المعظم للحرمات يسوءه انتهاكُها، ويغضب من أجل ذلك. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَا ضَرَب رسولُ الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيء قَطُّ فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنْتَهَكَ شيء من محارمِ الله فينتقم»[٦].

وقد جمع ابن القيم علامات تعظيم المؤمن لمحارم الله تعالى فقال: «وأما علامات تعظيم المناهي، فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها. وأن يدع

---

(١) ينظر نظم الدرر (١٣/ ٤٢).
(٢) الكشاف (٣/ ١٥٤)، وفتوح الغيب (١٠/ ٤٧٧).
(٣) ينظر: غرائب القرآن (٥/ ٧٩)، تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٥).
(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ٢٠٧).
(٥) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٢٨).
(٦) رواه مسلم (٢٣٢٧)، وأبو داود (٤٧٨٦).

ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحثات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو اليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته. ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب الله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عصى الله تعالى في أرضه، ولم يضلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك»[١].

٥ – تعظيم الحرمات بمعنى أوامر الشرع ونواهيه:

«ومعنى التعظيم: العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها»[٢].

وفي الآية إشارة الى أن تعظيم حرمات الله هو تعظيم الله في ترك ما حرمه الله عليه، والقيام بما أمره الله به[٣]؛ فإن الله تعالى ذكر تعظيم حرمات الله بين أمر ونهي، فقبله الأمر بنحر الهدايا وقضاء التفث وتوفية المناسك والطواف بالبيت، وبعده الأمر باجتناب الشرك وقول الزور.

وتدل الآية أن المؤمن عليه «أن يفعل الطاعة ويأمر بها، وينتهيَ عن المعصية وينهى عنها»[٤]؛ لأن تعظيم أوامر الله ونواهيه لا يكون إلا بذلك، أما مجرد الفعل والترك فهو قاصر عن هذه المنزلة.

وتشير أن فعل الطاعات وترك المعاصي ينبغي أن يكون الحامل عليه هو تعظيم الله وحرماته؛ لأن الله تعالى عدل عن ذكر الطاعة إلى التعظيم للإشارة إلى هذا المعنى[٥].

وتدل على أنه ينبغي للمسلم أن يجل العبادات بقلبه، ويكمل العبودية لله فيها، ويؤديها بمحبة لها، من غير تهاون، أو تكاسل، أو تثاقل؛ لأن ذلك من مظاهر تعظيمها[٦].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٣).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٤).

(٣) ينظر: روح البيان (٦/ ٢٩). قال الماتريدي في (تفسيره ٧/ ٤٤٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: «ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم أموره، وقبولها، والقيام بها، لا في قوله: يا عظيم، يا كبير، ونحوه، ولكن على ما ذكرت من تعظيم أموره، وقيامه بها».

(٤) النكت والعيون (٤/ ٢١).

(٥) ينظر نظم الدرر (١٣/ ٤٢).

(٦) ينظر تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٧).

وتدل الآية على أن تعظيم ما فرضه الله علينا من تعظيمنا لحرمات الله؛ لأن الفرائض يحرم تركها.

وتفيد أن من تعظيم فرائض الله تعالى العلم بوجوب مراعاتها[١].

وتدل بدلالة اللزوم على أنه يجب على المسلم التفقه في الدين ليتعلم الفرائض ويميزها عن المستحبات؛ لأن تعظيم الفرائض يتوقف على ذلك. أما النوافل فقد قال المتكلمون: إنها لا تدخل في حرمات الله تعالى[٢].

وتفيد وجوب حفظ فرائض الله مما يقدح في صحتها أو ينقص كمالها؛ لأن ذلك من تعظيم حرمات الله تعالى.

وتفيد أنه يحرم التفريط في أداء الفرائض، لأن القيام بها تعظيم لحرمات الله تعالى الذي أمر بها.

وتفيد أنه يحرم جميع صور الاستخفاف بالعبادات والاستهزاء من كيفياتها[٣]؛ لأن ذلك ينافي التعظيم الذي يجب أن يكنه المسلم لها.

وتفيد أنه لا ينبغي ألا يعارض أوامر الله بترخص يجعل صاحبه جافيا، ولا يعرضه يخرجه عن المنهج الوسط ويجعل صاحبه غاليا. «وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو؛ فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين»[٤].

قال ابن القيم: «فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا...وكذلك إذا فاته أول وقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه ... وكذلك

---

(١) ينظر الكشاف (٣/ ١٥٤).
(٢) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٢).
(٣) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٢٧).
(٤) الوابل الصيب (ص: ١٣ – ١٤).

فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته. وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها»[١].

وتشير الآية إلى أنه يحرم نقل وإشاعة ما يتضمن الاستهزاء ببعض العبادات كصور هزلية أو مقاطع مصورة أو طرائف مضحكة؛ لأن العبادات ينبغي أن تقدر قدرها، وتعظيمها تعظيم لله الذي شرعها.

و«تعظيم الحرمات بتعظيم أمره، وتعظيم أمره بترك مخالفته»[٢]. و«تعظيم حرماته بالغيرة على إيمانه»[٣].

وتدل الآية على أن التعظيم الحامل للمسلم على امتثال أوامر الله على وجهها واجتناب ما نهى عنه يدل على تقوى قلبه، لأن تعظيمها من تقوى القلوب، وتعظيمها لجلال الله[٤]؛ لأنه قد حذف من هذه الآية سبب كون التعظيم خيرًا له، وهو التقوى، ودل على إرادته بذكره في الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج].

وفي الآية إشارة إلى أنه مهما قدر الإنسان وجود شيء من حرمات الله تعالى وعظمها، ففي الممكن أن يقع في الوجود ما هو أعظم منها، فينبغي له أن يطلب أعظم الأشياء وأرقاها وأفضلها، ويحرص على الاتصاف بأكمل الأوصاف في ذلك. ويؤخذ من دخول من الشرطية على فعل عظم ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾، والشرط يدخل على المقدر والمحصول، والمقدرات الوجود أكثر من الموجودات[٥].

وأختم بنص جامع دقيق لابن القيم في شأن تعظيم الأمر والنهي يقول فيه: «وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، وذلك يوجب تعظيم الرب تعالى وأمره ونهيه، فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلى قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيم الأمر دليل على تعظيم الآمر، وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح

(١) الوابل الصيب (ص: ١٠).
(٢) لطائف الإشارات (٢/ ٥٤١).
(٣) لطائف الإشارات (٢/ ٥٤١).
(٤) ينظر نظم الدرر (١٣/ ٤٢).
(٥) ينظر تفسير ابن عرفة (٣/ ١٨٨).

في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورا به بحيث يتوقف الإنسان على معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله فهذا من عدم عظمته في صدره، بل يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلا ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر أو فقهها العقل كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله، فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي على ما جاءت، لا يعللها بعلل توهنها وتخدش في وجه حسنها، فضلا عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء»[(١)].

٦ – تعظيم حرمات المؤمنين:

قال ابْن مسروق: «تعظيم حرمات المؤمنينَ من تعظيم حرمات الله تعالى، وَبِهِ يصل العبد إِلَى محل حقيقية التقوى»[(٢)].

وقد نظر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوما إلى الكعبة، فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[(٣)].

ويكون تعظيم المؤمنين بكف الأذى عنهم وتحمله منهم، والإنصاف من نفسك وترك الانتصاف لها، فتتقي أعراضهم، وتبلغ أغراضهم، وتسامحهم فيما لا ينالك ضرره منهم[(٤)].

ومن تعظيمهم أن تنزلهم منزلتهم، وألا تحتقرهم؛ فإن المسلم لا يحل له أن يحقر أخاه المسلم، كما قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[(٥)]. وقال في حجة الوداع: «ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟»، قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: «ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟»، قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: «ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟»، قالوا: ألا يومنا هذا. قال: «فإن الله –تبارك وتعالى– قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»[(٦)].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٥٦١ – ١٥٦٢).
(٢) الرسالة القشيرية (١/ ١٠٠).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٣٣)، وإسناده حسن، ورواه أيضا ابن حبان (٥٧٦٣)، والبغوي في (شرح السُّنَّة: ٣٥٢٦)، ورواه أبو يعلى بإسناد حسن من حديث البراء، كما في (الترغيب والترهيب للمنذري ٣ / ١٧٧).
(٤) عدة المريد الصادق (ص: ٢١٧).
(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٨٢)، وابن ماجه (٣٩٣٣)، والترمذي (١٩٢٧) وقال: «حديث حسن غريب».
(٦) أخرجه البخاري (٦٤٠٣)، واللفظ له، ومسلم (٥/ ١٣٠٦).

وتعظيم حقوق المؤمنين يفضي إلى الإيثار، قال ابن القيم: «تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضهم على بعض، فهو يرعاها حق رعايتها، ويخاف من تضييعها، ويعلم أنه إن لم يبذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده، فإن ذلك عسر جدًّا، بل لا بد من مجاوزته إلى الفضل أو التقصير عنه إلى الظلم، فهو [لخوفه] من تضييع الحق والدخول في الظلم يختار الإيثار بما لا ينقصه ولا يضره ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة، مع ما يجلبه له الإيثار من البركة وفيضان الخير عليه، فيعود عليه من إيثاره أفضل مما بذله»[١].

المطلب الثاني: مظاهر تعظيم شعائر الله من خلال سورة الحج

فلنتحدث عن مظاهر تعظيم شعائر الله حسب المعاني التي قيلت في تفسيرها:

١ - تعظيم الشعائر بمعنى البدن:

من خلال التأمل في الآية يمكن استنباط عدة هدايات تتعلق بتعظيم الشعائر على القول بان المراد منها البدن:

تفيد الآية استحباب جعل علامة مميزة للهدايا إعلامًا بأنها هدي يتقرب بها إلى الله تعالى، ويؤخذ ذلك من أن الله سماها في هذه الآية شعائر إشارة إلى أن الشأن فيها أن تُشْعر.

ومن ذلك أنه يستحب أن تعلق قلادة في رقاب الهدي، تحلّيها وتزينها، وتجعل لها ميزة على غيرها[٢].

ومن تعظيمها أن يحافظ عليها وعلى الشعار الذي أشعرت به[٣].

وتفيد الآية جواز إشعار البُدْن. ويتم إشعارها بجرح صفحة سنامها من الجانب الأيمن كما فعل رسول الله ﷺ[٤]. وإنما قال جمهور الفقهاء بالإباحة؛ لأن الإشعار لما كان إعلاما كان سنة بمنزلة التقليد، ومن حيث إنه جرح ومُثلة وتعذيب للحيوان كان حرامًا[٥]، ولكن فعل النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دل على الجواز. أما الغنم فلا ينبغي إشعارها لأنها ضعيفة لا تحتمل ذلك[٦].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٩٩ - ٣٠٠).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٣٠).
(٣) زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٨٢).
(٤) أخرجه مسلم (١٢٤٣٩١٢).
(٥) ينظر تفسير القرطبي (٦/ ٣٨).
(٦) ينظر التفسير البسيط (١٥/ ٣٩٠ - ٣٩١).

قال ابن القيم: «وقياس الإشعار على المثلة المحرمة من أفسد قياس على وجه الأرض؛ فإنه قياس ما يحبه الله ويرضاه على ما يبغضه ويسخطه وينهى عنه، ولو لم يكن في حكمة الإشعار إلا تعظيم شعائر الله وإظهارها وعلم الناس بأن هذه قرابين الله عز وجل تساق إلى بيته تذبح له ويتقرب بها إليه عند بيته كما يتقرب إليه بالصلاة إلى بيته عكس ما عليه أعداؤه المشركون الذين يذبحون لأربابهم ويصلون لها؛ فشرع لأوليائه وأهل توحيده أن يكون نسكهم وصلاتهم لله وحده، وأن يظهروا شعائر توحيده غاية الإظهار ليعلوا دينه على كل دين»[١].

وتفيد الآية أن البدن أفضل في التقرب في الحج من غيرها من الأنعام؛ لأن الشعائر فسرت بالبدْن لكونها هي التي تُشْعَر، وقد نص الله عليها في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[الحج: ٣٦]. والبدْن جمع بَدَنة، والبدنة: ناقة، والبدنة إنما سميت بدنة لعظم بدنها[٢]، أو لأنَّهم كانوا يبدّنونها، أي يُسَمِّنُونَها[٣]. والبدَن: هو الضخم من كل شيء، فمعنى الآية: والإبل الضخام العظيمة الأجسام، جعلناها لكم من شعائر الله[٤]. وإنما ذكرها الله بصفتها دون اسمها لينبه بذلك على اختيارها، وتعيين الأفضل منها؛ فإن الله أحق ما اختير له[٥].

وتفيد الآية أنه يستحب اختيار الهدي من أحسن ما يجده الحاج من الأنعام، وأعظمها خلقة[٦]؛ لأن الثواب فيها أكثر، وبهاء الحج بها أظهر[٧].

ومن هنا أخذ جمهور العلماء أن البدنة أفضل، ثم البقرة، ثم الشاة، وذلك لأن البدنة أعظم من البقرة، والبقرة أعظم من الشاة. والله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج][٨].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٥٥).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٧)، وكذا في (تهذيب اللغة ١٤/ ١٠٢). ونقل عَن أبي زيد: «بَدَنَت الْمَرْأَة وبَدُنَتْ بَدْنًا أو بُدْنًا وبدَانة أَي سَمِنَتْ».

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤١١)، والصحاح (٥/ ٢٠٧٧). وروى ابن أبي حاتم في (تفسيره ٨/ ٢٤٩٤) عن مجاهد قال: «إنما سميت البدن من قبل السمانة».

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٥٥٣)، والكشف والبيان (٧/ ٢٢).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٩١).

(٦) ينظر التفسير البسيط (١٥/ ٣٩١).

(٧) ينظر روح البيان (٢/ ٤٤٦).

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٢١٧).

وتفيد استحباب تسمين ما تضحي به أو تهديه من الأنعام واستسمانه عند شرائه، لأن ذلك من تعظيمها. وفي الحديث أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يضحي اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين...[(١)]، وقال أبو أمامة بن سهل: كنا نسمن الأضحية بالمدينة، وكان المسلمون يسمنون[(٢)].

وتفيد أنه يستحب للحاج أو المعتمر أن يهدي إلى البيت أنفس ما يجد من الأنعام، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبيَة في هدايا رسول الله ﷺ جملا كان لأبي جهل، في رأسه بُرَة من فضة يغيظ بذلك المشركين[(٣)]، ويروى: برة من ذهب[(٤)].

وأهدى عمرُ بختية أُعطيَ بها ثلاثمائة دينار، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أهدَيتُ بختية لي أعطيت بها ثلاثمائة دينار، فأنحرها أو أشتري بثمنها بدْنا؟ قال: «لا، ولكن انحرها إياها»[(٥)]. ولم يكن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد أن يضن بقيمتها، بل كان يريد أن يبيعها فيشتري بها نوقا أو بقرا للذبح. فشاء رسول الله ﷺ أن يضحي بهذه البختية ذاتها لنفاستها وعظم قيمتها، ولا يستبدل بها نوقا كثيرة قد تعطي لحما أكثر.

ومن تعظيم الهدايا أن يتعهد سقياها، ويطعمها بالطعام الذي يلائمها ويعجبها[(٦)].

ومن التعظيم أن تنحر وهي قائمة مصطفة، بحيث تكون في صفوف متتالية بعضها وراء بعض، امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾[الحج: ٣٦]، وفيه ذلك روعة في المظهر، وظهور للمشعر، فإن جعل البدن في صف واحد مجتمعة منتظمة غير متفرقة مما يظهر كثرتها للناظرين ويزيد هيئتها جلالا، فتكون أقرب إلى تكبير الله وإعلاء اسمه وإظهار شعائره[(٧)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٩٢٨)، وابن ماجه (٣١٢٢)، والحاكم (٧٥٤٧)، وحسنه الألباني في (الإرواء: ١١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا (٥/ ٢١١١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٧٩)، وابن ماجه (٣١٠٠). وأخرجه الترمذي عن جابر (٨١٥). والبُرَة: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه (القاموس المحيط، ص: ١٢٦٢).

(٤) أخرجه أبو داود (١٧٤٩). وفي إسناده محمَّد بن إسحاق ولم يصرح بالتحديث، وقد توبع ابن إسحاق على رواية هذا الحديث من طريق ابن أبي ليلى من الحكم عن مقسم عن ابن عباس عند أحمد (١/ ٢٣٤)، وكذلك عن مجاهد عن ابن عباس عند أحمد (١/ ٢٦٩) وبه يكون الحديث حسنًا.

(٥) أخرجه أحمد (٦٣٢٥)، وأبو داود (١٧٥٦)، وابن خزيمة (٢٩١١).

(٦) ينظر: زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٨٢).

(٧) ينظر: تفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٦)، والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٤)، زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٨٧).

وتدل الآية على أنه يلزم للحاج أن يعتقد أن التقرب بالهدي من أجل القربات إلى الله[١]، وإن كان تعالى لا تناله لحومها ولا دماؤها؛ لأن الله تعالى يريد من عباده أن يعظموه ويعظموا أمره ويبذلوا في سبيل طاعته أثمن ما يملكون. قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾[الحج: ٣٧].

وتدل على أن قبول الله للهدايا يكون إذا تقرب بها المسلم على وجه التعظيم. قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَاوَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾[الحج: ٣٧]: «إن اتقيت الله في هذه البدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله، فإنه قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[الحج]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، قال: وجعلته طيبا، فذلك الذي يتقبل الله. فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟»[٢].

وتفيد الآية استحباب كل ما يظهر تعظيم الهدايا، ومن ذلك كسوتها، وقد صح أن عبد الله بن عمر كان «يجلِّل بدنه الْقِبَاطِيَّ والأنماط والحُلَل، ثم يبعث بها إلى الكعبة فيكسوها إياها»[٣]، أي: أنه يجمل بها بدْنه؛ لأن ما كان لله فتعظيمه وتجميله من تعظيم شعائر الله[٤].

وتفيد الآية أنه يجب على من أهدى هديا أن يكرمه، ويرعاه ويحسن معاملته، فإن كانت بدنة فلا ينبغي أن يركب عليها إلا لحاجة[٥]، ولا يحمل عليها، ولا يعرّيها من أصوافها وأوبارها، ما دام قد أعدّها للهدي؛ لأنها منذ الوقت الذي اختيرت فيه لتكون هديا، قد أصبحت خالصة لله، وهي منذ ذلك الوقت إلى يوم النحر في ضيافة مهديها إلى الله[٦].

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٠).

(٣) رواه مالك (١ / ٣٧٩، ح ١٤٦). ويجللها: أي يكسوها الجِلال وهو ما يجعل على ظهر البعير، و(القباطي) ثوب رقيق من كتان يعمل بمصر، (والأنماط) جمع نمط: ثوب من صوف ذو لون من ألوان، (والحلل) جمع حُلّة لا يكون إلا ثوبين من جنس واحد، ينظر شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٤٩٠).

(٥) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل عن ركوب الهدي؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: اركبها بالمعروف، «إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهرا». أخرجه مسلم (١٣٢٤).

(٦) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٣٠).

وتفيد الآية أنه يجب على كلّ مسلم -حاجّا أو غير حاجّ- أن يرعى للهدي حرمته، فلا يعتدي عليه، بالسرقة، أو انتزاع ما قلد به من قلائد؛ لأنه الهدي هدي الله، وليس أصحابه المتقدمون به إلى الله إلا رعاة له، وهو أشبه بناقة صالح.. له حرمته، كما كان للناقة حرمتها، وقد توعّد الله سبحانه وتعالى ثمود بالهلاك إن هم نالوها بسوء: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٧٣][(١)].

وتفيد الآية استحباب اختيار الأحسن من الأضاحي للتقرب إليها في عيد الأضحى؛ لأن الأضاحيَ مثل الهدي، كلاهما دماء يتقرب إلى الله تعالى[(٢)].

وتفيد من باب أولى وجوب الحرص على سلامة الهدايا والضحايا من العيوب والآفات، وفي الحديث عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، ولا نضحي بعوراء، ولا مقابلة ولا مدابرة، ولا خرقاء، ولا شرقاء»[(٣)].

وتفيد الآية استحباب أخذ أغلى ما يوجد من الأنعام للتقرب بها في الهدي. وقد سئل رسول الله ﷺ: أي الرقاب أفضل؟ فقال: أغلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها»[(٤)].

قال الشافعي: «والعقل مضطر إلى أن يعلم: أن كل ما تقرب به إلى الله عز وجل إذا كان نفيسا، فكلما عظمت رزيته على المتقرب به إلى الله عز وجل كان أعظم لأجره»[(٥)].

وتشير الآية إلى كراهية المماكسة والمشاحة عند شراء الهدايا والضحايا[(٦)]؛ لأن المماكسة تنافي تعظيم ما يتقرب به الى الله من الأنعام. وقد كان السلف يغالون في ثلاث -ويكرهون المِكَاس فيهنّ-: الهدي، والأضحية، والرقبة.

وتفيد الآية أنه يلزم للحاج أن يعتقد أن طاعة الله في التقرب بالأنعام وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم، لا بد أن يحتفل به ويسارع فيه[(٧)]؛ لأن هذا من تعظيم شعائر الله تعالى.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٣١).
(٢) ينظر تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٠٨٧).
(٣) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (٢٨٠٤، ٢٨٠٥، ٢٨٠٦)، والنسائي (٧ / ٢١٧). وأخرجه كذلك الترمذي (١٤٩٨)، ورواه ابن ماجه مختصرا (٣١٤٢)، وأحمد (٨٥١)، وفي إسناده أبو إسحاق السبيعي، وهو ثقة لكنه اختلط بآخره.
(٤) أخرجه البخاري (٢٣٨٢)، ومسلم (١٣٦).
(٥) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٠٨٧).
(٦) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٦)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٤٧).
(٧) الكشاف (٣/ ١٥٦)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٤).

وتشير الآية إلى أن تعظيم الحاج لما أهداه من الأنعام دليل على تعظيمه لله ودينه، «وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه، فلا يدل على الإخلاص فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع، وهو من تقوى القلوب»[١].

٢- تعظيم الشعائر بمعنى مناسك الحج ومشاهده:

من خلال الآية يمكن أن نستنبط عدة هدايات في هذا الموضوع:

وتفيد الآية أنه يجب على المؤمنين تعظيم الأعمال التي ألزمهم بأدائها في الحج، حتى إن لم تدرك عقولهم الحكمة منها[٢].

وتفيد الآية وجوب الإتيان بأعمال الحج على وجه التمام، لأن ذلك من تعظيمها، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦].

وتفيد الآية أنه يجب على ولاة الأمر تعظيم الأماكن التي أمرهم بأداء مناسك الحج فيها -كمِنَى وعرفة والمزدلفة وموضع الجمرات- بكل صور التعظيم المادية والمعنوية[٣].

وتفيد أنه يلزم الحاج أن يجل مواضع الحج ويوقرها ويقصد إليها كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن ذلك هو تعظيمها.

وتفيد حرمة الاستهانة بمشاهد الحج ومواضعه؛ لأن ذلك منافٍ لتعظيمها.

وتفيد وجوب السعي بين الصفا والمروة؛ لأن الله تعالى ذكر في سورة البقرة بأنهما من شعائر الله، وحث في آية سورة الحج على تعظيم الشعائر، وذكر أن هذا التعظيم من تقوى القلوب، والتقوى واجبة على كل مكلف، فدل مجموع النصين على أن تعظيمهما واجب، والسعي بينهما مظهر لتعظيمهما[٤].

وتدل على أن شعائر الله لا يجوز التهاون بها وعدم إقامتها[٥]. لأن ذلك خلاف التعظيم. وتدل على عدم التهاون بالسعي بين الصفا والمروة لأنه من شعائر الله[٦].

---

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/ ٢٨٢)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٦).
(٢) ينظر تفسير الطبري (١٦/ ٥٤١).
(٣) ينظر تفسير الطبري (١٦/ ٥٤١).
(٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦).
(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٤١٧).
(٦) أضواء البيان (٥/ ٢٥٨).

وتدل الآية على وجوب احترام مواقيت الحج وعدم مجاوزتها دون إحرام.

وتومئ الآية إلى أن تعدي مواقيت الحج يلزم عليه فدية؛ لأن تعظيم هذه الأوقات يقتضي لزوم الكفارة على من تعداها.

وتدل الآية على وجوب أداء أعمال الحج في الأوقات التي يجب أداؤها فيها، واستحباب أداء الأعمال في أوقاتها المستحبة؛ لأن ذلك من تعظيمها[١].

وفيها دلالة على أن أداء بعض أعمال الحج في غير أوقاتها بغير عذر تلزم عليه الفدية؛ لأن تعظيم هذه الأوقات تقتضي التغليظ على من لم يقف عندها.

ويستنبط من الآية استحباب وقوف الحاج بعرفة وهو راكب؛ لأن في الوقوف راكبا مباهاةً وتعظيمًا للحج[٢].

وقد استدل الشيعة ومن يحذو حذوهم بالآية على مشروعية تعظيم قبور الأئمة وسائر الصالحين بإيقاد السرج عليها وتعليق مصنوعات الذهب والفضة ونحو ذلك مما فاقوا به عبدة الأصنام[٣]، وهذا الاستدلال فاسد، فتعظيم الله تعالى وشعائره إنما يكون بما يحبه الله ويرضاه، لا بما يسخطه سبحانه، ومضاهاة المشركين في تعظيمهم للأوثان والأنصاب منكر عظيم، نسأل الله السلامة.

---

(١) ينظر الهداية (٧/ ٤٨٨٥).

(٢) ينظر تفسير القرطبي (٢/ ٤١٧).

(٣) روح المعاني (٩/ ١٤٥).

المبحث الرابع: فضل تعظيم حرمات الله وشعائره من خلال سورة الحج

المطلب الأول: فضل تعظيم حرمات الله من خلال سورة الحج:

تفيد الآية أن تعظيم حرمات الله قربة منه إلى الله وزيادة له في طاعته يثيبه عليها[١]. وضمير ﴿فَهُوَ﴾ عائد على المصدر المفهوم من قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾[الحج: ٣٠]، وهو: التعظيم[٢].

وتفيد أن تعظيم حرمات الله خير له من التهاون بشيء من ذلك[٣].

وتفيد أن اجتناب الحاج لما حرم الله عليه في وقت الإحرام -تعظيما لله تعالى واستعظاما لمواقعة ما نهى الله عنه في إحرامه صيانةً لحجه- خير له عند ربه من ترك استعظامه والتهاون به[٤].

وتفيد أن هذا التعظيم نفسه هو خير من خيرات الله التي أنعم بها عليه، ينتفع به، وهذا بناءً على أن ﴿خَيْرٌ﴾ ليست للتفضيل، وإنما هي وعد بخير[٥].

وعلى وجه آخر تفيد أن ثواب تعظيم الحرمات خير لمن عظمها عند الله في الآخرة مما يناله في الدنيا.

وإن قلنا بأن لفظ ﴿خَيْرٌ﴾ بـ «أفعل» التفضيل يمكن أن يستشف منه إشارة أخرى مراعين أن الخطاب كان للعرب الذين كانوا في زمن النبوة وكانوا يحجون البيت الحرام ويرتكبون المحرمات، فكأنه -سبحانه- يقول: إذا كان ترك هذا التعظيم لحرمات الله يؤدى إلى حصولكم على شيء من المتاع الدنيوي الزائل، فإن الاستمساك بهذا التعظيم أفضل من ذلك بكثير عند ربكم وخالقكم، فكونوا عقلاء ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير[٦].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط، حيث نسب نحوًا من هذا التفسير إلى ابن عباس (١٥/ ٣٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٤).

(٢) ينظر التفسير البسيط (١٥/ ٣٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٤).

(٣) نقله الرازي في تفسيره عن الأصم (٢٣/ ٢٢٢)، وبه فسر القرطبي الآية وقدمه على غيره (١٢/ ٥٤)، وتابعه الشوكاني في (فتح القدير ٣/ ٥٣٤)، واقتصر عليه النيسابوري في (غرائب القرآن ٥/ ٧٩).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٧٦). وهذا على القول أن ﴿خَيْرٌ﴾ للتفضيل والمفاضلة على سبيل التنزل وإرخاء العنان، أي على فرض أن ترك التعظيم فيه شيء من الخير، فالتعظيم أفضل منه.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٢٠)، وتفسير القرطبي (١٢/ ٥٤). وهذا ما استظهره أبو حيان في (البحر المحيط ٧/ ٥٠٤). وتبعه القاسمي في (محاسن التأويل ٧/ ٢٤٣) وقال: «والثاني هو الأظهر، لأنه أسلوب التنزيل في مواضع لا يظهر التفاضل فيها. وإيثاره، مع ذلك، لرقة لفظه، وجمعه بين الحسن والروعة».

(٦) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٣٠٥).

وتفيد على -طريقة أهل السلوك- أن تعظيم الحرمة خير للعبد في التقرب الى الله من تقربه بالطاعة[١]. وقد قال بعضهم: «بالطاعة يصل العبد الى الجنة، وبالحرمة يصل إلى الله»، أي: بتعظيم الحرمات والتأدب يصل إلى رضاه تعالى، ورضوان الله أكبر[٢].

ويقال: «ترك الخدمة يوجب العقوبة، وترك الحرمة يوجب الفرقة»[٣].

ويقال: «كل شيء من المخالفات فللعفو فيه مساغ، وللأمل فيه طريق، وترك الحرمة على خطر أن لا يغفر ذلك، وذلك بأن يؤدي شؤمه لصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده»[٤].

وتفيد الآية أن تعظم تكاليف الله وشرائعه بعلمه بقداستها، وعمله بمقتضى هذا العلم، خير له عند ربه، حيث يثيبه عليه ثوابا عظيما في أخراه، ولا يحرمه من فضله في دنياه[٥].

وتشير الآية إلى أن تعظيم حرمات الله خير للمسلم في دنياه كما هو خير له في أخراه؛ لأن تعظيم حرمات الله يحمل من يعظمها على تجنب المساس بها، وذلك خير له لأنه يكون مطمئن النفس، هادئ البال، وهو خير للمجتمع لأن الناس يأمنون فيه من البغي والعدوان.

وكذلك تعظيم حرمات الله وشرائعه يعود نفعه إلى الفرد نفسه، إذ يحتسبه الله له، فيجازيه خيرا منه، سواء في الدنيا بزيادة البركات، أو في الآخرة بالجنات.

وقوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، فيها تأكيد الخيرية أولا: بذكر ضمير الفصل ﴿هو﴾، وثانيا: بتخصيص الخيرية ﴿له﴾؛ لأنه قام بمناسك الحج، أدى موجباتها وبعد عن موانعها، وقام بحق ضيافة الله تعالى حق قيامه، وتعاون مع المسلمين وتعرف بهم، وذلك خير له ولكل المؤمنين. وثالثا: بأن أضاف الخيرية بأنها ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠] الحامي له[٦].

وتدل الآية بضميمة آية أخرى على أن من يَدَّعِي أَنَّهُ مسلم وهو يَنْتَهِكُ حرمات الله ويصر ويقول بأن الله سيغفر الله له فهو من المغترين، وقد لا يغفر الله له. ويشبه اليهود في صنيعهم،

---

(١) روح البيان (٦/ ٣٠).
(٢) ينظر روح البيان (٦/ ٢٩ - ٣٠).
(٣) لطائف الإشارات (٢/ ٥٤١).
(٤) لطائف الإشارات (٢/ ٥٤١).
(٥) ينظر تيسير الكريم والتفسير الوسيط لمجمع البحوث (٦/ ١٢١٣).
(٦) زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٧٨).

كما قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩][1].

المطلب الثاني: فضل تعظيم شعائر الله تعالى من خلال سورة الحج:

من خلال قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج] يمكن أن نستخرج ما يأتي:

تفيد الآية أن تعظيم شعائر الله تعالى[2] من العلامات التي تدل على رسوخ تقوى الله وخشيته في القلب[3].

وتفيد أن تعظيم شعائر الله تعالى باب من أبواب تقواه سبحانه[4].

وتفيد الآية أن تعظيم البدن باختيار أعظمها وأسمنها من[5] علامات إخلاص القلوب لله[6].

وتفيد أن المعظم للهدايا يبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله[7]، ولأن التوجه بها إلى الكعبة وتخصيصها لفقراء الحرم، مظهر حسي يدل على تقوى الكامن في القلوب[8].

وتفيد أن القلوب الصافية من شأنها أن تعظم معالم دين الله تعالى[9].

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ٣٠١).

(٢) أما وجه الإتيان بضمير المعنى فقد قال الواحدي في (البسيط ١٥/ ٣٩٢): «والصحيح أن المعنى: فإن تعظيمها، فحذف المضاف لدلالة ﴿يُعَظِّمۡ﴾ على التعظيم كما قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾[الحج: ٣٠] فكنى عن التعظيم لما دل يعظم عليه، كذلك هاهنا حذف التعظيم لما كان ﴿يُعَظِّمۡ﴾ يدل عليه». وثمة تقادير أخرى.

(٣) ينظر الوجيز للواحدي (ص: ٧٣٣).

(٤) روح المعاني (٩/ ١٤٥).

(٥) هذه الهداية وأمثالها بناءً على أن من في قوله تعالى: ﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢] الآية للتبعيض.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٦)، وتفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٧١)، وعزاه إلى السدي، وتفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٩). ونسبه الماوردي في (النكت والعيون ٤/ ٢٣) كذلك إلى الكلبي.

(٧) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦).

(٨) ينظر زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٨٢).

(٩) حكى السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٥٩) أنه قيل في قوله تعالى: {فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، يعني: من صفاء القلوب.

وتفيد الآية أن تعظيم الهدايا التي تهدى إلى البيت من أفعال المتقين لله الذين ملأت التقوى قلوبهم[١].

وتفيد الآية أن تعظيم شعائر الله -وإن ظهر في مظاهر شكلية- إلا أنه في الأصل من أعمال القلوب «التي من شأنها الشعورُ بما هو أهل لأن يعظم»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ إشارة إلى أن تعظيم شعائر الحج، هو تعظيم لله، يتجلّى فيه درجة إيمان المؤمنين، وينكشف بها ما عندهم من تقوى، إذ كانت هذه الأعمال- كما تبدو في ظاهرها- خارجة عن منطق العقل. والإيمان حين يرسخ في القلوب يبعث على التسليم وعدم الاستجابة لأسئلة العقل الملحة عن الحكمة والسر وراء تلك الأعمال، ولهذا قال تعالى: ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ليبين أن تعظيم هذه المناسك والقيام بها في إيمان وإخلاص إنما هو من وحي القلوب، ومن خفقات الإيمان الثابت فيها، ومن نتائج التقوى المتمكنة منها[٣].

ويستفاد من ذلك أن نركز في تعليم مناسك الحج على المشاعر القلبية، ذلك أن الإنسان قد يتسلط عليه الشعور بالتراخي في أداء أعمال الحج، أو الوقوف بمواضعه، وقد يؤديها في استخفاف أو استثقال، الأمر الذي يذهب بالفوائد الطيبة التي ينالها الحاج إن أدى حجه على أكمل الوجوه، وهو ممتثل لأمر الله، معظم لشعائره، راجٍ لمغفرته ورضوانه. وليدفع الله ما قد يوحي به التفكير العقلي لصاحبه من تساؤلات في شأن تلك المناسك دعا الله أكثر من مرّة إلى تعظيمها بقلوبهم وجوارحهم به ليظهروا إيمانهم به وتسليمهم لأمره[٤].

وفي الآية إيذان بأن تعظيم الهدي لا لذات البهيمة، بل لأنها مهداة لبيت الله تعالى، وقربة إليه سبحانه بما ندب الناس إليه، ولأنها تكون طعمة لفقراء البلد الحرام الذي عظمه الله تعالى[٥].

وفيها إشارة إلى أن من أعظم ثمار الحج أنه يعود المسلم على الاستسلام لله في كل أمر، وتعظيم الله قلبًا وقالبا.

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٦)، والتفسير الواضح (٢/ ٥٨٥). قال الألوسي في (روح المعاني ٩/ ١٤٥): «لا يخفى أنه كلما كان التقدير أقل كان أولى فيكون قول من قال: التقدير فإن تعظيمها من تقوى القلوب أولى من قول من قال: التقدير فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب».

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٥).

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٣٣).

(٤) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٩/ ١٠٣٤).

(٥) ينظر زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٨٢).

وتدل الآية أن تعظيم شعائر الحج وأعماله ومواضعه أثر من آثار وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده[١]. ويؤخذ هذا من أن معنى الآية: «فإن تعظيمها ناشئٌ من تقوى القلوب»[٢]، وهذا بناءً على أن ﴿مِن﴾ للابتداء.

وتشير الآية أن القلب إذا كان فيه شيء من تقوى وإيمان، فإن أثر ذلك يظهر ذلك بقدره في أعمال الجوارح[٣].

وتشير الآية كذلك إلى أن القلب إذا كان فيه شيء من النفاق أو الشر فإن أثر ذلك يظهر ذلك بقدرْه في أعمال الجوارح[٤].

ويؤيد هاتين الهدايتين قول النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٥].

وتؤذن الآية بأن أعمال القلوب أهم وأعظم من أعمال الجوارح.

وتشير الآية إلى أن حقيقة التقوى ما استقر في القلب، لأن الله تعالى أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب[٦]، كما جاء في الحديث أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «التقوى هاهنا» وأشار إلى صدره[٧].

وتومئ الآية إلى أن أولى ما يعنى به المسلم هو تطهير قلبه وتنويره بنور الإيمان وضياء التقوى؛ لأن القلوب هي مراكز التقوى، ولذلك أضاف إليها التقوى في قوله: ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٨].

ويفهم من الآية أنه لا عبرة بالأعمال الظاهرة على الجوارح إن لم تكن ناشئة عن تقوى متمكن في القلب[٩].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٤١).
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١٠/ ٤٨٣).
(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (٧/ ٤١٤)، والكشاف (٣/ ١٥٧).
(٤) ينظر: تفسير الماتريدي (٧/ ٤١٤).
(٥) أخرجه البخاريُّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٦) التفسير البسيط (١٥/ ٣٩٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٣٦).
(٧) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٥٦٤).
(٨) ينظر الكشاف (٣/ ١٥٧).
(٩) ينظر غرائب القرآن (٥/ ٨٠).

ويفهم من الآية أن عدم تعظيم مناسك الحج ومشاهده علامة على خلو القلب من خشية الله وتعظيمه.

ويفهم منها أن ترك تعظيم شرائع الدين ومعالمه علامة على وجود بذْرة النفاق في القلب. فالمنافق قد يظهر التقوى من نفسه، ولكن لما كان قلبه خاليا عنها فإنه لا يكون مجدًّا في أداء الطاعات، أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص(١).

وفي الآية إشارة إلى أن التقوى قسمان: تقوى القلوب والمراد بها التقوى الحقيقية الصادقة التي يتصف بها المؤمن الصادق، وتقوى الأعضاء، والمراد بها التقوى الصورية الكاذبة التي يتصف بها المنافق الذي كثيرا ما تخشع أعضاؤه وقلبه ساهٍ لاهٍ(٢).

وتشير الآية إلى أن من قصد نيل الثواب(٣) فعليه أن يؤدي الشعائر بجوارحه وهو يعظمها بقلبه.

وتومئ الآية بأن تعظيم شعائر الله سبب لنيل رضا الله تعالى(٤)؛ فإن القلوب هي محل نظر الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٥).

وتدل الآية بضميمة الآية الأخرى أن من يعظم شعائر الله فهو خير له عند ربه في الاخرة؛ لأنه حذف هنا كون التعظيم خيرًا، ودل عليه بذكره هناك، وهو ما يسميه البلاغيون بالاحتباك(٦).

وتومئ الآية إلى أن التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره، ويؤخذ ذلك من أن الله تعالى ربط في هذه الآية بين الهدي الذي ينحره الحاج -معظِّمًا له- وتقوى القلوب.

---

(١) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٤).

(٢) روح المعاني (٩/ ١٤٥).

(٣) قال الماوردي في (النكت ٤/ ٢٣) بعد أن ذكر ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾: «ويحتمل عندي وجهًا آخر أنه قصد الثواب».

(٤) ينظر: النكت والعيون (٤/ ٢٤) حيث قال: «ويحتمل وجهًا آخر أيضًا: أنه ما أرضى الله تعالى».

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٦) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٤٥). وقد نقل عنه ابن عبد الحق العمري في درر الفرائد المستحسنة (ص: ٤٥٥) أنه عرفه فقال: «وهو: أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول»، وقد ذكر البقاعي (١/ ٢٢٥) أنه ألف فيه كتابا مستقلا سماه «الإدراك لفن الاحتباك».

وتومئ إلى أن مناسك الحج أمور محسوسة مرئية، ولكنها في الحقيقة رموز تعبيرية تدل على توجه القلوب إلى الله تعالى وطاعته، فالطواف وهو عمل حسي يدل على الاتجاه إلى ضيافة الرحمن، وهكذا[1].

(١) ينظر زهرة التفاسير (٤/ ٢٠١٩).

خاتمة

من خلال هذا البحث تبين لنا أن سورة الحج هي السورة الوحيدة التي انفردت بآيتين عن تعظيم حرمات وشعائره بشكل صريح، وسر ذلك هو أن مقصد سورة الحج هو الدعوة إلى التقوى وبيان ومعالمها، ومبنى التقوى على تعظيم الله، وعبادة الحج من أعظم العبادات وأكثرها أعمالا، ومناسكها ومشاهدها كانت معروفة لدى المشركين، ولكن حقيقة الحج التي غابت عنهم هي أن مدار مناسكه على تعظيم الله وحده ظاهرا وباطنا، وأن تلك الشعائر إنما ترمز إلى هذا التعظيم، وتدل على رسوخ التقوى في القلوب، وتبين لنا أن هاتين الآيتين بما قيل في تفسيرها من معان تختلف عموما وخصوصا تشمل أوامر الله ونواهيه كلها، وتعظيمها ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي وهو الله جل جلاله، وللتعظيم صور كثيرة، ذكرنا ما أمكن استنباطه من الهدايات حسب ما عنّ للكاتب وأسعف به الوقت، والله هو الموفق، ولا حول ولا قوة لنا إلا بالله.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- **أحكام القرآن**: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي. حققه: عبد السلام محمد علي شاهين. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
- **أحكام القرآن**: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي. حققه: موسى محمد علي وعزة عبد عطية. دار الكتب العلمية، بيروت. ط٢، ١٤٠٥هـ.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت.
- **أسباب نزول القرآن**: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. حققه: عصام بن عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح، الدمام. ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**: أبو بكر جابر الجزائري. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. ط٥، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
- **بحر العلوم**: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي. تحقيق: الشيخ علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. نشره الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة. ١٤١٩ هـ
- **البحر المحيط في التفسير**: أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. دار الفكر، بيروت. ط ١٤٢٠هـ.
- **تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي**: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي. تحقيق: د. مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **تفسير الإمام الشافعي**: أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي. جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان. دار التدمرية، المملكة العربية السعودية. ط١، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م.

- **التفسير البسيط**: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري. أصله ١٥ رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط ١، ١٤٣٠هـ.
- **تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار هجر، مصر. ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **تفسير التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور. الشركة التونسية للتوزيع، تونس. ط ١، ١٩٨٥م.
- **التفسير الحديث**: محمد عزت دروزة. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. ١٣٨٣هـ.
- **تفسير الراغب الأصفهاني**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. من أول سورة آل عمران حتى الآية ١١٣ من سورة النساء. تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي. دار الوطن – الرياض. ط١. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **تفسير الشعراوي**: محمد متولي الشعراوي. مطابع أخبار اليوم، القاهرة. نشر عام ١٩٩٧م.
- **تفسير القرآن**: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني. حققه: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. دار الوطن، الرياض – السعودية. ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي**: حققه: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية. ط ٣، ١٤١٩هـ.
- **التفسير القرآني للقرآن**: عبد الكريم يونس الخطيب. دار الفكر العربي، القاهرة. د.ت.
- **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- **تفسير المراغي**: أحمد بن مصطفى المراغي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

- **التفسير المظهري**: محمد ثناء الله المظهري، حققه: غلام نبي التونسي. مكتبة الرشدية، الباكستان. ط ١٤١٢هـ.
- **تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم**: محمد رشيد رضا الحسيني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٩٠م.
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**: محمد سيد طنطاوي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة. ط ١. (جزء ٥) يونيو ١٩٩٧م.
- **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي. تحقيق: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط ١، ٢٠٠١م.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة. ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. دار الفكر، بيروت. د.ت.
- **روح البيان**: المولى أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي. دار الفكر، بيروت. د. ت.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. حققه: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت. ط١، ١٤١٥هـ.
- **زهرة التفاسير**: محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. ١٩٨٧م.
- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي. مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة. عام ١٢٨٥هـ.
- **سنن ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله. دار الرسالة العالمية. ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت.
- **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. ط ٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- **صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: لمحمد بن حبان التميمي البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. ضبطه ورقمه الدكتور مصطفى ديب البُغا. نشر دار ابن كثير ودار اليمامة، دمشق. ط ٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. حققه محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت.
- **عِناية القاضي وكِفاية الرَّاضي**: حاشية على تفسير البيضاوي. شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. دار صادر، بيروت. د.ت.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١، ١٤١٦هـ.
- **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**: صديق خان بن حسن بن علي البخاريّ القِنَّوجي. عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. المَكتبة العصريّة للطباعة والنشر، صَيْدا، بَيروت. ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير**: محمد بن علي الشوكاني. دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت. ط ١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- **القاموس المحيط**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري. دار الكتاب العربي، بيروت. ط٣، ١٤٠٧هـ.
- **اللباب في علوم الكتاب**: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- **محاسن التأويل**: محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١، ١٤١٨هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي. حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية – بيروت. ط ١، ١٤٢٢هـ.
- **المحكم والمحيط الأعظم**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. تحقيق: حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة. ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيّع. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت. ط ١، ١٤١١ – ١٩٩٠.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة قرطبة، مصر. د.ت.
- **معاني القرآن**: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس. حققه: محمد علي الصابوني. جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ط١، ١٤٠٩ه.
- **المعجم الكبير**: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. د. ت
- **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **مفاتيح الغيب**: محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية – دمشق/ بيروت. ط١، ١٤١٢هـ.

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البِقاعي. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني. مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة. ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: سيد إبراهيم. دار الحديث – القاهرة. ط٣، ١٩٩٩ م.